



مع المسيح من العلية إلى القيامة  
حسب قطمارس أسبوع الآلام  
شهادة لتعليم آباء الإسكندرية

دكتور

جورج حبيب بياوي

٢٠١٦

## إيقاع لحن لاهوتي صافٍ:

يخدم الكاهن بصلاة البركة الخاصة بأسبوع الآلام:

"يسوع المسيح إلهنا الحقيقي الذي قَبِلَ الآلام بإرادته وصُلبَ على الصليب لأجلنا". قبول الرب الآلام اختيارياً برغبة الآب (يوحنا ١٠ : ١٨)، هو قبول الصلاح والقوة والمجد والعظمة التي تسبِّح بها الكنيسة طوال أسبوع الآلام: "ثوك تيه تي جوم ..."، ولذلك بعد قراءة "الطرح" أي تفسير مختصر في شكل عظة:

"المسيح مخلصنا جاء لكي يتألم

لكي بآلامه يخلصنا".

ويجيب الشعب:

"فلنمجده ونرفع اسمه

لأنه صنع معنا رحمةً

كعظيم رحمته".

ويعمضي ذات الايقاع اللاهوتي الفخم في ختام الطلبة:

"يا ربنا يسوع المسيح الذي صُلبَ على الصليب

اسحق الشيطان تحت أقدامنا".

## وفي طرح الساعة الأولى من ليلة الاثنين:

"فقال ربنا يسوع قد أتت الساعة لكي يتمجد ابن الإنسان. وابتدأ يرمز بهذا الكلام عن موته المعطي الحياة .. نحن أيضاً نؤمن أن هو بالحقيقة نور الآب الذي أرسله إلى العالم، أضياء علينا بمجد لاهوته نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت وأصعدنا إلى العلو الأول (رتبة آدم قبل السقوط) من هوة آثامنا".

وهكذا يوصف الرب يسوع:

"يسوع هو ملك النعمة والخيرات، المكمل السلام. الذي أنعم على جنس البشر بشركة ملكوته" (طرح الساعة السادسة من ليلة الأربعاء).

كيف عبّر طرح الساعة الأولى من ليلة الخميس عن صلاة الرب بعد أن سمعنا قراءة (يوحنا ١٠: ١٧-٢١).

"ربنا وسيدنا وملكنا المسيح يُظهر لاهوته وسلطانه أنه الإله المتعالي على كل رئاسة وكل سلطان في السماء وعلى الأرض. فلذلك قال: إن الآب يحبني، فأنا أضع نفسي لكي آخذها وليس أحد ينزعها مني، لكني أنا الذي أضعها بإرادتي، فإن لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها".

من باكر الخميس دخل هذا اللحن في صلاة العشيّة، وتحول إلى صلاة:

"هذا الذي أصعد ذاته (قدّم نفسه)

ذبيحةً مقبولةً على الصليب عن خلاص جنس البشر

فاشتمّه أبوه الصالح وقت المساء على الجليحة".

كانت ذبيحة المساء في زمن الرب هي ما يسمى "منحة" أي "منحة"، وليس ذبيحة شكر، ولذلك يعقب هذا اللحن قراءة البولس (أفسس ٢: ١٣-١٨) عن السلام والمصالحة وهدم عداوة البشر وخلق الاثنين (اليهود والأمم) إنساناً جديداً.

## المسيح الفصح الحقيقي:

من كلمات طرح باكر يوم خميس العهد:

"تعالوا أيها الأمم وافرحوا وتهللوا، لأن الله الكلمة صار لكم فصحاء، الفصح الأول الذي بالخروف خلّص الشعوب من عبودية فرعون. والفصح الجديد هو ابن الله الذي خلّص العالم من الفساد، وبأنواع كثيرة وطرق شتى أعد الخلاص (النجاة الأبدية) لكن هذا الخلاص هو لكل العالم من مشارق الشمس إلى مغاربها، جذب كل أحد إلى علو رحمته ورأفته التي كان يصنعها. وأظهر لهم كثرة نعمته التي أفاضها على كل موضع من المسكونة. أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له وتفضّل علينا بصلاحه".

من درس الرسائل الفصحية للقديس أناسيوس الرسولي يسمع ليس فقط ذات الكلمات، بل ذات التسليم الرسولي:

الرسالة الأولى عام ٣٢٥ وهو يصف الفصح القديم إذ يكتب:

"كانت الشريعة مطلوبة، والظلال رغم أنها ظلال، إلا أنها كانت مناسبة وسامية؛ لأنها استطاعت أن تضع الخوف وأن تغرس الهيبة في الذين سمعوها. والآن نقول إن هذه كانت رموزاً وتمت كظلال، ولكن علينا أن نعبّر إلى المعنى ونترك الرمز تماماً لكي نأتي إلى الحق وأن نرى أن أبواق مخلصنا تبوق بصوت عال، وتدعوننا أحياناً إلى الحرب التي قال عنها بولس المغبوط: "صراعنا ليس مع لحم ودم، بل مع الرؤساء والقوات وسلطان الظلمة في عالم الظلمة وأرواح الشر التي في السماء" (أفسس ٦: ١٢). وأحياناً الأبواق تدعوننا إلى الصوم، وأحياناً أخرى إلى العيد. وهنا أيضاً نفس

الرسول يبيِّق ويعلن: المسيح فصحننا قد ذُبِحَ، فلنعيِّد العيد، ليس بالخبز القديم ولا بجمير الرياء والشر" (١ كو ٧: ٧، ٨).

### وفي الرسالة الفصحية الثالثة عام ٣٣١ يقول:

"المسيح فصحننا وقد ذُبِحَ لكي نتأمل أزلية الكلمة ونأتي إليه لكي نخدمه".

### وفي الرسالة الفصحية الرابعة عام ٣٣٢ يقول:

"في إسرائيل القديم كانت الرموز قد أُعطيَتْ أولاً .. ولكن الآن أيها الأعباء لقد تمَّت الظلال وظهر معنى الرمز، وعلينا أن لا نعيِّد حسب الرمز ولا أن نذهب إلى أورشليم الأرضية (للعيد) لكي نذبح الفصح حسب الممارسات الطقسية لليهود التي تتم في مواعيد محددة؛ لثلا نفقد معنى (العيد)، بل أن نحتفل (بالعيد) حسب تسليم الرسل لكي نذهب إلى ما هو فوق الرموز ونشيد النشيد الجديد".

### وفي الرسالة الفصحية الخامسة يقول:

"إن الله يا أحبائي، الله نفسه هو الذي أسس هذا العيد ... هو الذي ذبح ابنه للخلاص وأعطانا سبب (وجود) هذا العيد المقدس .. وهو الذي يقودنا إلى الأمام من الصليب في هذا الدهر الحاضر والذي يعطي لنا الله نفسه الفرحة بالخلاص المجيد .. لقد حرر العالم بدم المخلص".

## ذبح اسحق وإبادة الموت وفرح القيامة:

حسب القطمارس، تحتوي نبوة الساعة التاسعة من يوم الخميس على قراءة تقديم اسحق (تك ٢٢: ١-١٩) ويضاف إليها نبوة من أشعيا النبي (٦١: ١-٦).

وفي الرسالة الفصحية السادسة يشرح المعلم السكندري العلاقة بين تقديم اسحق ونبوة أشعيا و صلب المخلص، فيكتب:

"لقد رأى البطريك إبراهيم يومه (يوم يسوع) وفرح؛ لأن يوم الرب كان هو اليوم الآتي (يو ٨ : ٥٦ - عب ١١ : ١٧) وعندما جُرب بالإيمان، قدّم اسحق لكي يقدمه ذبيحةً، وهو ابنه الوحيد الذي به قد قَبِلَ المواعيد. وعندما قدّم ابنه، سجد لابن الله، وعندما مُنِعَ من ذبح اسحق، عاين المسيح في الكيش (تك ٢٢ : ١٥) الذي قُدّم ذبيحة لله. لقد جُربَ البطريك في ابنه اسحق، ليس لأنه صُلب وإنما لأنه هو الذي أشار إليه أشعيا: "كشاةٍ تساق للذبح وكنعجة صامتةٍ أمام الذي يجزها" (٧ : ٥٣) رفع خطية العالم.

و لم يحقق موت اسحق حرية العالم، بل موت المخلص وحده. لقد أقام الساقطين، وشفى المرضى، وأطعم الجوعى، وملاً احتياجات الفقراء، وما هو فائق وعجيب ويفوق كل هذا، أقامنا نحن الأموات، وأباد الموت، ونقلنا من التنهد إلى تعزية وراحة هذا العيد الذي يصل فيه الفرح إلى السماء نفسها .. لأن السماء تفرح معنا ومعنا كنيسة الأبركار".

### عظة لأبينا أنبا أثناسيوس الرسولي رئيس أساقفة الإسكندرية:

"إن المسيح جاء بذاته، ولحبه مات عنا. لأنه لم يخلقنا نحن الخطاة مثل آدم ويصيرنا بشراً فقط، بل لما أهلكنا أنفسنا بالخطية جاء وتألم عنا وأحياناً بمحبته. لأنه جاء إلينا كطبيب معلنا لنا ذاته. لأنه لم يأت إلينا كمرضى فقط، بل كموتى. بهذا لم يشفنا نحن المرضى فحسب، بل أقامنا نحن الأموات الذين ابتلعنا الموت ففكنا من رباطاته. لهذا مات المسيح الرب عنا لكي نحيا معه إلى الأبد. لأنه إن لم يكن الرب قد شارك البشرية في آلامها، فكيف يخلص الإنسان؟ لأن الموت سقط تحت أقدام المسيح وانهمز وسبى مضطرباً. ورجع إلى الجحيم مع قوته إلى خلف، لما سمع صوت الرب

ينادي الأنفس قائلاً: اخرجوا من وثاقكم أيها الجالسون في الظلمة وظلال الموت. اخرجوا من وثاقكم فأنا أبشركم بالحياة، لأنني أنا هو المسيح ابن الله الأبدي".

هذه العظة القديس أناسيوس الرسولي التي تُقرأ في الساعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة، هي من القطع النادرة، فهي ملخص وافٍ لمعظم ما كتبه القديس أناسيوس عن موت الرب وقيامته وعمله معنا وفينا كمخلص:

أولاً: أحياناً بحبته: "كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده عن الجميع .. من أجل محبة البشر (تجسد الكلمة ٨ : ٤).

ثانياً: لأنه لم يأت إلينا كمرضى فقط، بل كموتى، أقامنا من الأموات: "إذ كان الجميع قد ماتوا فيه ... فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية، يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت" (تجسد الكلمة ٨ : ٤).

ثالثاً: أقامنا نحن الأموات: "لأنه بذبيحة جسده الذاتي وضع نهايةً لشريعة الموت. .. فبسبب تأنس كلمة الله فقد تمت إبادة الموت وتمت قيامة الأموات" (تجسد الكلمة ١٠ : ٢٥).

رابعاً: جاء إلينا كطبيب معلنا لنا ذاته: "أتى إلى عالمنا كلي القداسة ابن الآب إذ هو صورة الآب ... حتى يستطيع الذين لا يريدون ان يعترفوا به من خلال أعمال عنايته وسلطانه .. ان يعرفوا كلمة الله الحال في الجسد ومن خلال الكلمة المتجسد يعرفون الآب" (تجسد الكلمة فصل ١٤ كله).

**هزيمة الجحيم وإبادة الموت:**

**طرح الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة:**

"مَنْ يَشْرُ المسبيين بالذي ذاق الموت عنهم؟ وَمَنْ الذي يسبق إلى الفردوس

ففيهى الطريق للملك افرحوا اليوم أيها الأبرار والأنبياء البطارقة والصديقين. والإنسان الأول الرأس الذي عتق في الحزن قد تجدد اليوم بالإنسان الحديد الذي قتل الموت وأبطل عزته وكسر شوكنه المرة، وقطعها الله الكلمة بكليتها. ومضى إلى الجحيم بالنفس التي أخذها من طبيعة آدم وجعلها واحداً معه والنفوس التي كانت في السجن أصعدها معه كعظيم رحمته. والعدو الأخير الذي هو الشيطان قيده بالقيود والسلاسل.

فلما رآه البوابون الأشرار والقوات الكائنة في الظلمة هربوا. ولم يطيقوا الثبوت لأنهم عرفوا قوته وكثرة جبروته. فكسر الأبواب النحاس بسلطانه والمتاريس الحديد سحقها. أما المسييون فلما رأوا الرب يسوع مخلص نفوسهم، صرخوا قائلين: حسناً جئت أيها المنتقذ عبيده ... وأدخلهم إلى الفردوس مسكن الفرح والراحة".

### في الرسالة الفصحية الثانية سنة ٤١٥ يقول القديس كيرلس الكبير:

"لقد أرانا طريق الخلاص، ليس لنا وحدنا، بل أيضاً نزل فبشّر للأرواح التي عصت قديماً في العالم السفلي - كما قال بطرس (١ بط ٣: ١٩-٢٠)؛ لأن محبته لن تُعطى لفئة قليلة، بل استعلان العطية قد شمل كل الطبيعة، وقد سبق وتكلم في إيجاز بواسطة الأنبياء: مكان واحد ينزل عليه المطر أما المكان الذي لم ينزل عليه المطر سيظل جافاً" (عاموس ٤: ٧). ولكن الكلمة الخاصة ببشارة المخلص هي "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (متى ١١: ٢٨)، وعندما أعلن هذه البشارة إلى الأرواح في العالم السفلي قال للذين في السلاسل "اخرجوا من الظلمة واطهروا" (أش ٤٩: ٩ س) فأقام هيكله في اليوم الثالث وجدّد الطبيعة لكي تنال الصعود إلى السماء، مُظهراً ذاته للآب كباكورة الثمار، أي باكورة الإنسانية بعد أن منح للذين على الأرض نصيباً في الروح كعربون نعمة".